بيت ← الدور ← شطر ← ذلك ضوء الصباح قد لاحا
ونسيم الرياض قد فاحا
لا تقد في الظلام مصباحا
فل عنه يشحح الراحا

حيث تنهل أدمع القطر ... وترى الروض باكم الزهر ← القفل

نظمت جوهر العلا سلكا
كن سلك يزين المعكا
ما برا الله مثله ملكا
لاح بدرا وفاح لي مسكا
كالحيا، كالامان كالدهر ... كعلي في الحرب أو عمرو

بيت ← الدور ← شطر ← كلما لاح هو ملتثم
كهلال تخفه ديم
خافقاً فوق رأسه علم
غنم الرعب منه والعجم
عقد الله راية النصر ... لامير العلا ابي بكر ← القفل

نموذج من الخرجة :

من موشحة ابن القزاز التي مطلعها :

من ورد التسنيم ، من سلك نَلِيج ، ذي عُروب ، في قلتي
ان ذاقه عاشق ، مُلفظ وجيب ، اطفأ اللهيب ، في الوقتِ

والخرجة جاءت اعجمية هي :

يوسيدي ابراهيم ، بانوا من دُنْج ، فانت حبيب ، ذي نُحتي
إن نون شنون كاشي ، بيريم تيب ، غرمي أدب لقرتي

ومعناها :

يا سيدي ابراهيم ، يا صاحب الاسم العذب
أقبل إلي ، في المساء ، فإن لم ترد ، جئت اليك ، ولكن أين اجدك ؟

شاع هذا الفن في المشرق، فالموشحة لابن زهر الحفيد في الاندلس وليس لابن المعتز. لان الموشحة وردت في المصادر الاندلسية. فقد اوردها ابن سناء الملك في دار الطراز. ومن جانب آخر لاتوجد موشحات اخرى لابن المعتز، لذا يمكن ان تكون الموشحة الوحيدة التي نظمها، كذلك لاتوجد في ترجمته في المصادر انه كان وشاحاً. والموشحة جاءت موافقة لموشحات اخرى أثرت عن ابن زهر الحفيد.

ومن الوشاحين المتقدمين الذي نصت المصادر على خوضهم في هذا الفن ابن عبد ربه، وهارون الرمادي ومكرم بن سعيد.

لقد اعجب ابن بسام بالموشحات لكنه يعتذر عن ايرادها، لان اكثرها على غير اعاريض اشعار العرب. واقدم وشاح وصلت الينا موشحته هو عبادة بن ماء السماء (ت ٤٠٠هـ) وقد اثنى ابن بسام على شاعريته وبراعته في هذا الفن فقال عنه: (فأقام عبادة هذا مناداها وقوم سيلاً رسادها، فقأز لم تسمع بالاندلس الامنه، ولا أغنت الاعنه) ومن الوشاحين المتقدمين قرينه محمد بن عبادة القزاز، وابن اللبانه (ت ٥٠٧) والاعمى التطيلي (ت ٥٢٥) وابن باجة (ت ٥٢٢).

مراحل الموشحات:

① كان الوشاح يضع الموشحة على القفل او المركز دون تضمين فيه ولا فقر

② انتقل الوشاح نقلة جديدة حيث ضمن في الاقفال او المراكز وأتما باسماط مركبة او مرصعة وكان الرمادي أول من اكثر من ذلك.

③ وتتمثل المرحلة الثالثة في ما احدثه عباده بما يسمى (التضفير)

والدكتور هيكل يرى ان الموشحات مرت بمرحلتين الاولى قبل القرن الخامس الهجري والثانية بعده. واستطاع احد الباحثين هو السيد غازي ان يجمع الموشحات الاندلسية وكانت ٤٤٥ موشحة ويبدو ان الموشحات في مراحلها الأولى كانت صورة مختلفة عن المسمطات المربعة أو المخمسة.

الموشحات بين الاندلس والمشرق: ان الاتفاق معقود على ان الاندلس انجبت هذا الفن، وتلك الخلاف قائم حول الجذور التي انبثق منها. فما هي الاراء: ① ان الموشح تطور عن الشعر العربي المشرقي، فقد عرفت المسمطات والمزدوجات، وفي العصر العباسي قيل اشعار ابي العتاهية وابي نواس. ومن ذهب الى القول بالاصل المشرقي نيكل وبروهان فلك واحسان عباس وشوقي ضيف وحفاوجي. ② ورأي ان الموشح ثمرة من ثمار الاندسة اليانعة وهو رأي المستشرق بيلاثيو وغويليان وغرسيه غومس ومحمد كرد علي وعبد العزيز الاهواني والدكتور مطلوب ونوري حمودي القيسي.

هناك من الباحثين من أراد ان يبين أثر الاغاني الجليقية الاسبانية او الشعر

الفصل الرابع
المرحلة الثالثة — التجديد في الشعر الاندلسي - ٢ د/ار
الأدب الاندلسي — ص ٢٤٥

الموشحات الاندلسية :-

بناء الموشحة :

الموشحة منظومة غنائية ، لا تسير في موسيقاها على المنهج التقليدي الملتزم لوحدة الوزن والقافية ، وإنما تعتمد على منهج تجديدي متحرر نوعاً ، بحيث يتغير الوزن وتتعدد القافية ويكتفى مع التزام التقابل في الاجزاء المتماثلة .

والموشحات فن من فنون الشعر العربي التي أبدعت في الاندلس .

تعريف الموشحة :

الموشح : اسم مفعول من الفعل وشح . ويرى الدكتور احسان عباس ان السبب في تسميته هو تصور الاندلسيين هذا النوع من النظم كرقعة الثوب وفيه خطوط . وخلاصة القول ان الموشحة في الاصطلاح الادبي نوع من النظم يشبه الوشاح الذي تتخذه المرأة للزينة والجامع بين المعنيين مقرون بفكرة التجميل المنوع المعتمد على التقابل ، فهو يتألف من فقرات مختلفة العدد والمقاطع . وقد عرّف ابن سناء الملك (ت ٦٠٨) الموشح فقال : كلام منظوم على وزن مخصوص يتألف في الاكثر من ستة اقفال ، وخمسة ابيات ، وفي الاقل من خمسة اقفال .

اجزاء الموشحة :-

١- المطلع أو المذهب : هو القسم الاول من الموشحة .

ب- الدور : وهو مجموعة من الاشطار ، تتركب من مجموعة من الفقرات مختلفة العدد تأتي في اشطار متباينة الاقسام ، وفي الغالب يلتزم قافية الدور الواحد ، ويغيرها في الدور الذي يليه .

ج- القفل : هو من مجموعة الاشطار التي تلي الدور وتكون غالباً على غرار المطلع من حيث البناء والقوافي ، ويلتزم الوشاح في الاقفال الوزن ، وعدد الاشطار والاجزاء ، فهي تبنى على المطلع .

د- الخرجة : هي القفل الاخير من الموشحة وأهم جزء فيه ، وقد اشترط ابن سناء الملك فيه ان تكون عجاجية ، من قبل السخف ، قرمانية من قبل اللحن ، عارة محرقة . الامر الملح . واحياناً تكون الخرجة عجمية اللفظ .

* أولية الموشحات :- تذكر المصادر ان اقدم مخترع للموشحات : أما مقدم بن معاذ القبري او محمد الفريد . وهناك من نسب موشحة (ايما اسقي البك المشتكى) الى ابن المعتز ، ولكن لم يثبت هذا لانه وردت في المصادر الاندلسية كثيراً ، وبُعد الموشحة عن روح العصر العباسي في زمن ابن المعتز ، ولو كانت لابن المعتز

الموضوع :
التاريخ :

الفرشي والترجمان في الموشحات . ولكن ذهب عدد من الباحثين على إثبات العكس ومن أثبت ذلك الدكتور عبد الهادي زاهر والدكتور الطاهر أحمد مكي .

ويرى الدكتور أحمد هيكل ان العوامل التي ادت الى نشأة الموشح :-

١- العوامل الاجتماعية وهي تتمثل فيما طرأ على المجتمع الاندلسي .

٢- العوامل الفنية ، وهي ثمرة للتطور الذي حصل في الحياة الاجتماعية والاقتصادية وتشجيع الغناء ودخول زرياب الى الاندلس واجهت الحاجة ماسة كما يرى الدكتور هيكل الى لون من الشعر جديد يواكب الموسيقا والغناء فكانت الموشحات .

وخلاصة القول في أمر نشأة الموشحات كما يرى الدكتور حكمت كوكب ان الرأي لم يستقر بعد على شيء قاطع في ذلك ، وان لكل من الرأيين حجته القوية .

بناء الموشحة : اشار ابن بسام في الذخيرة الى اوزان الموشحات المخالفة لأعاريض الشعر العربي . واما ابن سناء الملك حاول ضبط أوزانها فاعترف بعدم تمكنه . ومن المحاولات في هذا المجال محاولة المستشرق الالماني هارتمان الذي ارجع تلك الاوزان الى ١٤٦ وزناً او بحراً مشتقة من بحور الشعر العربي الستة عشر . ويرى الدكتور سيد غازي ان اوزان الموشحات لم تقتصر على مقاييس الخليل ، بل تقدمتها الى مقاييس جديدة ولدها الموشحون . واشار مقداد عبد الرحيم الى ظاهرة التنوع في اوزان الادوار والاقفال بين الكثرة والقلة على ثلاثة انواع ① الشعر العربي المألوف ② وغير المألوف ③ وتنوع الاوزان .

ولعل السبب في عدم مجيء محاولات في ضبط اوزان وقوافي الموشحات ما ذكره الدكتور عبلة الجزري ان هذا الفن وجد ليخرج على اوزان الخليل .

أغراض الموشحات ولغتها :- يأتي موضوع الغزل بشكل رئيس ثم المدح والوصف والرثاء والزهد والتصوف . ويرى الدكتور جودة الركابي ان الموشحات في معانيها لم تتضمن جدة او عمقاً ، انما جاءت لطيفة حلوة كما ابتدأت . لا سيما الكف من هذا الفن فلق اجواء الحب واثارة عواطف الحنين .

أما لغة الموشحات : فلب كم الموشحات الصفف لان الشاعر كان يبغي ارضاء الاذواق العامة . ولعل الصفف يتلزم الزجل . ودافع الدكتور محمد مجيد السعيد عن لغة الموشحات وانها لم تكن ركيكة هزيلة في جميع العصور او المواضيع .

نموذج من الموشحات : اشتهرت موشحة ابن باجة ابي بكر محمد بن الصائغ السرقسطي (ت ٥٢٧) في مديح الامير تيفلويت وهذا الموشح (مدور ، مشطر ، مجرد) يقول :

جرّر الذيل أيّما جرّ ... وصل السكر منك بالسكر ← مطلع

فصن

٥٨

Sarrf

يقول عنه ابن خلدون: "ينبغ في الشعر والترسيل بحيث لا يجارى فيهما، واجمع شاعر الاندلس والمغرب في عصره" ووصفه ابو الوليد بن الاحمر "هو شاعر الدنيا وعالم المؤد والتنيا، وكاتب الارض الى يوم العرض ..." وقد وصفه المستشرق سيمونت بانه امير الادب الغرناطي. ووصفه المستشرق خوسيه كاسيارو بملاك في الادب الاسباني الاسلامية. وغرسيه غوميز قدر ان يختم هوليات الاندلس الجميلة اقول فتام وأعظمه في النفس وقعاً.

اغراضه الشعرية:

① اكثر اشعاره تقترن بممدوحيه والديه ابو الحجاج يوسف بن اسماعيل ومن اقواله يصف حصار جبل الفتح ٧٥٠ هـ

ألا حدثاها فهي ام العجائب ... وما حاضر في وصفها مثل غائب
هو الخبر الصدق الذي وضحت به ... سبيل الهدى بعد التباس المذاهب
سيونك في اعمادها مطمئنة ... وكن سيف الله دامي المضارب

② اما الغزل فهو يرد استهلالا لقصائده المديحية والتهانئ. او غزلا خالصا كقوله:

يا حبيباً من لعيني ان تراه ... قد رماها بك قلبي ويراه
لم يدع صبرك لي من رمق ... آه مما فعل البين وآه

③ وتغلب عليه دينية في اشعاره ويتصوف (يضرع) الى الله.

جلا الكرى قلبي متى انارا ... فأنثنت من جانب الطور نارا

ولابي المديح النبوي (المولديات) يقول:

يا صفوة الله المكين مكانه ... يا خير مؤتمن وخير نصيح
أقرضت فيك الله صدق محبتي ... أيكون تجري فيك غير ربيح؟

④ ولابي الرثاء والاخويات. وتليل الحب. ولابي فنون البديع والتضمين.

شعره: نوع متطعات ومطولات ومزدوجات.

* نثره:

يقول عنه المقري (اما نثره فهو البحر الزخار، بل الدر الذي به الافتخار)

ومن نثره في كتاب (تلخيص الذهب) المرفوع الى ابي الحجاج بن نصر رحمه الله:

"اما بعد حمد الله، الذي قصر وصف الكمال المحض على ذاته، وجعل الالسن تتفاوت في رتب البيان ودرجاته، والثناء عليه بما به على نفسه اثنى من اكماله الحسنى وصفاته ... والصلاة على سيدنا ومولانا محمد، الصادع بآياته ... والرضا عن آله واصحابه واحزابه نجوم الدين وهداته، وانصار الحق وحماته"

(٥٤) ان اكثر رسائل ابن الخطيب كانت سلطانية او ديوانية. لقد انكر عدد من

Sami

55

ترجمة لسان الدين ابن الخطيب

هو ابو عبدالله محمد السلماني المعروف بابن الخطيب قرطبي الأصل من اشهر اعلام القرن الثامن الهجري بالاندلس. يقول عنه الاستاذ عبدالله عنان: «بل هو من اعظم كتاب الاندلس وشعرائها على الاطلاق) لمنزله سياسية، وشخصيته علمية متنوعه. لنتاجه غزير، ولمكانته اهم عنوان عصره. يقول عنه عبدالله كنون: (كان معجزة قطره، ومفخرة عصره).

ولد في لوشه سنة ٧١٣ هـ وكان جده سعيد أول من استوطنها من اسرة عربية البتار، ولما مارس جده الاول التعليم والتدريس غلب عليه لقب «الخطيب»، فغدا ابن الخطيب علوم وعلى يد اكابر علماء العصر. اهم رئيس الكتاب ثم رتبة لوزارة حتى نشبت الفتنه سنه ٧٦٠ هـ فرحل ابن الخطيب الى المغرب ثم عاد، وأحفظ حسّاده عليه السلطان فنكبه، وجاء المغرب سياسيّ. وعندما تولى حكم المغرب الامير احمد بن ابي سالم قبض لابن الاحمر بسجن الخطيب ثم قتله سنه ٧٧٦ هـ.

ومن اوسع الذين ترجموا لابن الخطيب، المقري في كتابه نفح الطيب. فقد كان معجباً أشد العجب به. وكذلك ترجم له صديقه ابن خلدون.

آثاره ومؤلفاته:-

صنفها في ثلاثة أضرب:

(١) النثر التأليفي. ونزعتها موسوعيه اربعين رسائل موجزة في مجال التاريخ ورجال العلم. ومن مؤلفاته (الاحاطة في اخبار غرناطة)، اتاح المجال في مقابلة القدح المعلى، اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام.

* التاريخية: والتاريخ عنده رواية والاعتبار بالحوادث الماضية واخذه بالمنهج النقدي للرواية التاريخية والتثبت والتحقق.

* الطبية: رسائل في الطب والاغذية وعلاج السموم

(٢) الرسائل الأدبية

(٣) شخصية ابن الخطيب الشعرية. وقد سمى ديوانه بعنوان (الصيب والجهام والماضي والكهام) وله كتاب (جيش التوشيح) في الموشحات.

وكثير من مؤلفاته مفقوده لم تصل الينا والذي وصل الثلث فقد أحرقوا كتبه.

شاعريته:-

ابن الخطيب من ذوي المواهب المزدوجة. وقد أشاد ابو حيون بشاعريته قديماً وحديثاً حيث تناولت اشعاره اكثر موضوعات الشعر التقليدية المديح والغزل والزهد والتصوف والمديح النبوي. زيادة على ما ضمته ديوان التوشيح والزجل.

Sami

الدارسين كابن الخطيب ميله الشديد الى السجع المتكلف ومن هؤلاء الاستاذ احمد خليف وحدد ابرز سمتين ① الايثار بم هاب الجودة ② الاطالة والسجع المتكلف

اما مصطفى الشكعة فنظرته اكثر واقعية فقد وجد رسائل ابن الخطيب منسجمة مع عصرها موازية للنثرية.

الا ان المقري لاحظ في اسلوب ابن الخطيب انه يميل الى الترسل دون السجع وقال عنه احمد امين: يتسم بدقة الوصف وغزارة المعنى.

ومن رسالات ابن الخطيب لاحد اصدقائه:

« اهلا بتحفة القادم، وريحانة المشام، وذكرى الهوى المتقادم ...

وما حال شمل وتده مؤوف، وضوء بني أبيه مسروق، هذا وقد صارت الصغرياء التي كانت الكبرى، فشيب لم يدع ان هجم لما نجم، ثم تهلل عارضه وانسجم:

لا تجزعي هجرا على وشيبة فالهجر يحمى تلفه التعويض سريع

نظرت فاذا الجنب ناب، والنفس فريسة ظفر وناب، والمال أكيلة انتهاب، والعمر رهن ذهاب، واليد صفر من كل اقتصاب، وسوق المعاد متراصية والله سريع الحساب

وله في المقامات ايضا، وان لم يستخدم البطل والرواية فان اسلوب رسالته يمثل اساليب المقامات. واقدم من عرفها من المقامات: المقرب وكذلك حين تونسي قال اقرب المقامات اسلوبا ورودا. ومن مقاماته (معيار الاختبار) يقول: (والليل قد جن، فلم يبق في النوم الا من اشفق ومن، وقال وقد هزته أريحية، على الدنيا سلام وتحية، فلقد نلنا الاوطار، ورأينا الافطار، وأبعدنا المطار، وافترقنا الاقطار.)